

عشرون حديثاً عن الموت وحياة البرزخ

كل نفس
ذاتة
الموت

إعداد
أبي عمر الأثري

غفر الله له ولوالديه

عشرون حديثاً عن الموت وحياة البرزخ

إعداد أبي عمر الأثري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب الموت على عباده، وجعله سبيلاً إلى الدار الآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الموت حقيقة كبرى لا يملك أحد دفعها، وسنة ماضية لا يستثنى منها بشر، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهو أول منازل الآخرة، وبوابة العبور من دار العمل إلى دار الجزاء، ومن الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، وما أكثر الغافلين عنه مع يقينهم بوقوعه، وما أشد حاجة القلوب إلى تذكيره والاستعداد له قبل أن يفجأ الإنسان أجله فلا يجد إلى التأخير سبيلاً.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ببيان ما يلقيه العبد عند مفارقتة الدنيا، وما يقع له منذ خروج روحه من جسده، وما تشهده تلك اللحظات العظيمة من بشارات أو نُذُر، ثم ما يكون بعد ذلك من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه، وسؤال الملكين، وأحوال الأرواح في البرزخ، إلى أن يأذن الله بقيام الساعة وبعث الخلائق للحساب والجزاء.

ولما كانت هذه المسائل من أمور الغيب التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، كان من الواجب العناية بالأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فيها، وجمعها وتقريبها للناس؛ لتكون زاداً للمتذكر، وعظة للغافل، وتنبئاً للمؤمن، ودافعاً إلى الاستقامة والتوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ومن أجل ذلك جاء هذا الكتاب الموسوم بـ (عشرون حديثاً في الموت وحياة البرزخ)، وقد اشتمل على طائفة من الأحاديث النبوية التي تتناول حقيقة الموت، وخروج الروح، واستقبال الملائكة لها، وما يجري للعبد في قبره، وما يتعلق بأحوال البرزخ إلى قيام الساعة، وقد حرصت فيه على اختيار الأحاديث الجامعة لأهم هذه المعاني، لتكون بين يدي القارئ في صورة ميسرة نافعة، تذكّره بالمصير المحتوم، وتعينه على حسن الاستعداد للقاء ربه.

وأَسأل الله الكَرِيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكَرِيم، وأن يَنفَع به كاتبه وقارئه، وأن يجعله سببًا في زيادة الإيمان، ورقة القلوب، وحسن الاستعداد ليوم الرحيل، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» يَعْنِي الْمَوْتَ^(١).

هازم بالذال: معناها قاطع، ويحتمل أن يكون بالذال، وهو قريب من معناه هذا، واللذات المراد بها: شهوات الدنيا مما يهفو الناس إليه، فإن الموت يقطع التمتع بهذه الشهوات، بمنع الإنسان من الانخراط فيها، وذكر الموت يعدل مسار الإنسان العاصي إلى الزيادة في أفعال الجنة، والابتعاد عن كل ما يقرب من النار، فضلًا عنه أنه يحجز الإنسان عن ترك نفسه لمشاغل الدنيا وحظوظها، ويحضه على العمل لآخرته.

قال القرطبي رحمه الله: "ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه، فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه، أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاعتزاز بها، والسكون إليها، لقطعه عنها"^(٢)، نسأل الله السداد.

الحديث الثاني

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

(١) رواه الترمذي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وأحمد (٧٩٢٥)، وابن حبان (٢٩٩٢)، والحاكم (٧٩٠٩).

(٢) التتكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ص (١٢٣).

بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ - أَوْ عُتْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(١).

وفي رواية أخرى عنها قالت: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، وَعِنْدَهُ قَدْحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدْحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى عَمْرَاتِ الْمَوْتِ أَوْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

الركوة: هي قربة من جلد مملوءة بالماء، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوجع من مرضه، فلما قربوا الركوة منه جعل يدخل يده الشريفة فيها، فيأخذ منها بعض الماء، ثم يمررها على وجهه، لعله يخفف من حرارة الحمى والوجع الذي به، صلى الله عليه وسلم، وسكرات الموت: ما يصاحبه من شدائد وأهوال وآلام عظيمة، وقوله: "اللهم في الرفيق الأعلى": هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وقيل: بل المراد الجنة، وقيل: هم جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، سأل ربه أن يلحقه بهم، وهو خيرهم وإمامهم، صلى الله عليه وسلم.

قال أهل العلم: إن سكرات الموت لا بد منها لكل أحد، المؤمن والكافر، فهي تصيب كل إنسان، لكنها تختلف من شخص لآخر شدة وضعفًا، إلا أن الأغلب خفتها على المؤمنين وشدتها على الكفار، وإنما يشدد على الأنبياء في السكرات حتى يزداد لهم في الأجر، وقد تشددت على بعض المؤمنين لرفع درجاتهم وتكفير سيئاتهم، كما قد تكون خفيفة على كثير منهم، وقد صح الخبر عن الشهيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ»^(٢).

والقرصة: هي الضغط بأصبعين على لحم الإنسان، وقيل: المقصود عضه النملة ونحوها، والمراد: أن الشهيد لا يجد ألمًا عندما يلقي حتفه، قال المناوي: "وهذه تسلية لهم

(١) رواه البخاري (٦٥١٠) ومواضع، والترمذي (٩٧٨)، وابن ماجه (١٦٢٣)، وأحمد (٢٤٣٥٦).

(٢) رواه النسائي (٣١٦١)، والترمذي (١٦٦٨)، وابن ماجه (٢٨٠٢)، وأحمد (٧٥٩٣).

عن هذا الحادث العظيم، والخطب الجسيم، وتهيج الصبر على وقع السيوف واقتحام الحتوف^(١).

قلت: فالشهيد إذن يستثنى من سكرات الموت، ويستثنى منه أكثر المؤمنين، إلا من أراد الله تكفير بعض ذنوبهم ورفع درجاتهم، قال الحافظ ابن حجر: "شدة الموت لا تدل على نقص في المرتبة، بل هي للمؤمن إما زيادة في حسناته وإما تكفير لسيئاته"^(٢).

قلت: وقد جاء في بعض طرق الحديث: أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «فَلَا أُكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا، بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ومعناه: لما رأيت شدة وفاته، علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى، وأن هون الموت وسهولته ليس من المكرمات، وإلا لكان صلى الله عليه وسلم أولى الناس به، فلا أكره شدة الموت لأحد، ولا أغبط أحدًا يموت من غير شدة^(٣).

ويستفاد من الحديث: أن الموت حق على كل مخلوق، إذ لو نجا منه أحد لكان سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحق الناس بالنجاة منه، وأن للموت سكرات، وكل من يموت يناله من هذه السكرات وآلامها ما قدره الله تعالى عليه، إلا أن الأغلب أن تكون خفيفة المؤمنين، وشديدة على الكفار، ويؤخذ من الحديث أيضًا: أن شدة سكرات الموت على المؤمن تكون خيرًا له، فهي من مكفرات الذنوب، ومن أسباب رفع الدرجات، نسأل الله الرحمة والعافية، وحسن الختام.

الحديث الثالث

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ - أَوْ بَعْضُ أَرْوَاجِهِ - : إِنَّا لَنُكْرَهُ

(١) فيض القدير: (٤/ ١٨٢).

(٢) فتح الباري: (١١/ ٣٦٣).

(٣) انظر تحفة الأحوزي: (٤/ ٤٨، ٤٩).

الموت، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١).

اختلف أهل العلم في المراد بلقاء الله، فذهب بعضهم إلى أن المقصود هو الموت، ويدل عليه ظاهر السياق، واعتراض أم المؤمنين عائشة رضي الله بقولها: إنا لنكره الموت، أو كلنا يكره الموت، بينما ذهب آخرون إلى أن المراد بلقاء الله: المصير إلى الدار إلى الآخرة، فعلى القول الأول يكون المقصود: أن المحبة والكراهة المعبرتين هما ما يكون عند النزاع أو الغرغرة، في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له، ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه^(٢).

وعلى القول الثاني يكون المقصود: من أحب لقاء الله أي: ترك الدنيا وأبغضها، ورغب فيما عند الله تعالى من الثواب والنعيم، ومن كره لقاء الله أي: آثر الحياة الدنيا وركن إليها، وكره المصير إلى الآخرة^(٣)، وكلا القولين مقارب للآخر ولا يناقضه، والله تعالى أعلم.

والمحصلة: أن الصنف الأول - الذي أحب لقاء الله تعالى - يبشر عند موته بالجنة والنعيم والرضوان، ومصدق ذلك قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}** [فصلت: ٣٠]، أما الصنف الثاني - والعياذ بالله - فإنه يبشر بالعذاب والسخط، كما في قوله جل شأنه: **{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}** [الأنفال: ٥٠].

وقد بدأ الحديث بذكر أهل الخير والرضوان لشرفهم، وإن كان أهل الشر والسخط أكثر،

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي: (١٧ / ١٠).

(٣) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر: (١١ / ٣٦٠).

وفي الحديث: إثبات صفتي الحب والكره لله تعالى على الوجه الذي يليق بكماله وجلاله، دون تكيف أو تمثيل، ودون تحريف أو تعطيل، على منهج السلف رضوان الله عليهم، وأن كراهة الموت لا تقدر في صلاح الإنسان وإيمانه.

وفيه أيضاً: أن المجازاة من جنس العمل، فإنه قابل المحبة بالمحبة، والكره بالكره، واستشف بعض أهل العلم من هذا الحديث: أن المحتضر إن كان من أهل الخير والرضوان ظهرت عليه علامات السرور لأنه يبشر عند احتضاره بالنعيم والرضوان، وأهل الشقاوة نقيض ذلك، نسأل الله العافية.

الحديث الرابع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَقَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»^(١).

المراد بحسن الظن بالله تعالى: رجاء عفوهِ ورحمته، وهو يكون في الدنيا وحال الصحة والرخاء بالإقبال على الطاعات، واجتناب السيئات، ورجاء الثواب على ذلك من الله جل وعلا، أما عند حضور الموت فيكون بتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله تعالى وعفوهِ، وما وعد به أهل التوحيد، وما سيبدلهم من الرحمة يوم القيامة، وقد خص الحديث ساعة الموت بالرجاء وحسن الظن لئلا يغلب على الإنسان الخوف حينئذ، فيغلب عليه اليأس والقنوط فيهلك، أعاذنا الله وإياكم.

وينبغي للمؤمن إجمالاً أن يجمع بين الخوف والرجاء معاً حال حياته، فالإيمان يقوم ويكمل بهما، قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: ٩]، وقال عز من قال: {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء: ٥٧]، قال ابن أبي العز الحنفي: "الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧)، وأحمد (١٤١٢٥).

على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته"^(١)، وشبه أهل التحقيق الإيمان بطائر جناحاه: الخوف والرجاء، فلا يمكنه التحليق إلا بهما معاً، وقال بعض أهل العلم: الخوف في حال الصحة الرخاء أولى لأنه يحجز العبد عن الكبر والمعصية، والرجاء في حال الضعف والشدة أولى، لأنه يحجز الإنسان عن اليأس والقنوط، وكذلك في حال الموت يترجح الرجاء وحسن الظن، فإن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب الرجاء وإحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، نسأل الله السداد.

الحديث الخامس

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ أَخْرَجُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

"لا إله إلا الله" هي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص والنجاة، ومعناها: لا معبود حق إلا الله تعالى، وكل معبود سواه باطل، وكلمة التوحيد هنا اقتصر على هذا لعمومها على كافة الأمم، وهي في أمتنا تكمل بالشهادة بأن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

والمراد بآخر كلامه: عند احتضاره وخروجه من الدنيا، وقد اختلف أهل العلم فيمن قالها عند موته: هل يدخل الجنة رأساً، ويسقط عنه كل ما قدمه من آثام وإن كثرت، أم أن المقصود: أنه لا بد له من دخولها: إما معجلاً معافى، وإما مؤخرًا بعد عقابه، ومال النووي وغيره إلى القول الأول، إذ قال: "ويجوز في حديث (من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة) أن يكون خصوصاً لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه، وإن كان قبل مخلطاً، فيكون سبباً لرحمة الله تعالى إياه، ونجاته رأساً من النار وتحريمه عليها، بخلاف

(١) شرح الطحاوية "ط. دار السلام": ص (٣٣٠).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦)، وابن ماجه (٣٧٩٦)، وأحمد (٢٢٠٣٤).

من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخطئين^(١).

والظاهر: أن من قالها قاصداً بها التوبة والندم على ما فات منه من ذنوب ومعاصٍ فهي كافية لمغفرة تلك الذنوب والخطايا، وإن تعلقت به حقوق للناس فإن الله تعالى يعوضهم من خزائنه، وأما المسلم الذي يُختم له بقول هذه الكلمة، ولا يستحضر بها التوبة من ذنوبه فهي لا تعدو أن تكون علامة خير، وخاتمة حسنة له، ولا تعني بالضرورة أن تُتجيه مما اقتترف من السيئات مما لم تُغفر له، فيدخل الجنة مؤخرًا بعد عقابه، والله تعالى أعلم، ونسأله السداد والعافية.

الحديث السادس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

الحديث السابق يختص بالميت ذاته، أما هذا الحديث فإنه يختص بذنوبه ومن كان حوله عند احتضاره، لأن كلمة التوحيد من علامات حسن الخاتمة للمؤمن، وقد تكون عاصمة له من العذاب في الآخرة على النحو الذي بيناه آنفًا، كما أنه موطن يعرض فيه الشيطان لفتنة ابن آدم عن دينه، فتكون هذه الكلمة عاصمة له من فتنة الشيطان، والله المستعان، والتلقين يكون للمؤمن وغير المؤمن معًا، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عمل على تلقين عمه أبي طالب عند موته^(٣)، وكذا طلبها من غلام يهودي كان يحتضر^(٤).

قال النووي رحمه الله: "والأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين،

(١) شرح صحيح مسلم: (١ / ٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (٩١٦)، وأبو داود (٣١١٧)، والنسائي (١٨٢٦)، والترمذي (٩٧٦)، وابن ماجه (١٤٤٥)، وأحمد (١٠٩٩٣).

(٣) رواه البخاري (١٣٦٠) ومواضع، ومسلم (٢٨).

(٤) رواه أحمد (١٢٧٩٢)، وابن حبان (٢٩٦٠)، والحاكم (٧٧٨٨)، وأصله في الصحيحين.

وكرهوا الإكثار عليه والموالة، لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه، ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به ليكون آخر كلامه^(١)

والمراد بالتلقين: تذكير المحتضر بقول "لا إله إلا الله"، كما يعلم الصبيان ونحوهم قولها في الدنيا، والتلقين له صورتان: الأمر، بأن يقال للمحتضر: قل لا إله إلا الله، أو التذكير بترديدها أمامه دون أن يؤمر بقولها، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "ينبغي في هذا أن ينظر إلى حال المريض، فإن كان المريض قوياً يتحمل، أو كان كافراً فإنه يؤمر فيقال: قل: لا إله إلا الله، اختم حياتك بلا إله إلا الله، وما أشبه ذلك. وإن كان مسلماً ضعيفاً فإنه لا يؤمر، وإنما يذكر الله عنده حتى يسمع فيتذكر"^(٢)، وبالله التوفيق.

الحديث السابع

عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوْ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عَقْبِي حَسَنَةً»، قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مِنْهُ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).

المريض: قيل المراد مرض الموت، وقيل عام في كل مرض، وهذا هو الأظهر والله أعلم، والأمر هنا أمر تأديب وتعليم بما يقال عند المريض والمحتضر، فيدعى للمريض بالشفاء، وللمحتضر بالرحمة والمغفرة، وذلك لأن الملائكة الحاضرين عند المصاب - سواء

(١) شرح صحيح مسلم: (٦ / ٢١٩).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع: (٥ / ٢٤٧).

(٣) رواه مسلم (٩١٩)، وأبو داود (٣١١٥)، والنسائي (١٨٢٥)، والترمذي (٩٧٧)، وابن ماجه (١٤٤٧)، وأحمد (٢٦٤٩٧).

كان ملك الموت وأعوانه، أم غيرهم من عموم الملائكة - يؤمنون على ما يقوله الحاضرون من الناس، أي: يقولون: آمين، ومعناها: اللهم استجب، ودعاء الملائكة مستجاب، فلا ينبغي للشخص أن يدعو بما فيه مضرة له، أو لغيره.

وقوله: "وأعقبني منه عقبى حسنة" أي: عوضني منه عوضاً حسناً، وبدلاً صالحاً، فأخبرت أم المؤمنين أم سلمة أن الله سبحانه استجاب دعائها، فأعطاهها بدلاً من زوجها الأول أبي سلمة رضي الله عنه من هو خير منه، فقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث: الندب إلى قول الخير حينئذ من الدعاء والاستغفار له، وطلب الشفاء أو التخفيف عنه ونحوه، وفيه: حضور الملائكة حينئذ وتأمينهم على دعاء الحضور.

الحديث الثامن

عن بريدة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**»^(١).

يبين الحديث علامة من علامات حسن الخاتمة للمؤمن، وهي عرق الجبين عند الاحتضار، واختلف أهل العلم في بيان سببية هذا العرق، فقيل: إن عرق الجبين يكون لما يُعالج من شدة الموت، فيكون فيها تكفير لخطاياها، أو رفع درجاته وثوابه عند الله عز وجل، وقيل: من الحياء، وذلك لأن المؤمن إذا جاءته البشرية - مع ما كان قد اقترب من الذنوب - حصل له بذلك خجل، واستحى من الله، فعرق لذلك جبينه^(١)، وقيل: هو كناية عن كدّ المؤمن في طلب الحلال، وتضييقه على نفسه بالصوم والصلاة حتى يلقي الله تعالى، والله أعلم.

وفي الحديث: إثبات أن الموت حق على كل نفس، مؤمنة أو غير مؤمنة، وفيه بيان

(١) رواه النسائي (١٨٢٩)، والترمذي (٩٨٢)، وابن ماجه (١٤٥٢)، وأحمد (٢٢٩٦٤).

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي: (١ / ٣٠٩).

بعض علامات موت المؤمن، والله المستعان.

الحديث التاسع

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: اشتكى سعد بن عبادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «قَدْ قَضَى؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذِّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» وَكَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا، وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ، وَيَحْتِي بِالتُّرَابِ»^(١).

قوله: "اشتكى شكوى له" أي: اشتكى من مرض شديد ألمَّ به، ولذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة رضوان الله عليهم لعيادته، وقوله: "فوجده في غاشية من أهله" أي: تغشاه أهله وأحاطوا به لما رأوه من شدة مرضه، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: "قد قضى؟" فهو سؤال لهم: هل خرجت روحه أو لا، ومعلوم أن سعد بن عبادَةَ تأخر موته إلى صدر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أي أنه لم يموت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عزم الأنصار على تنصيبه خليفة للمسلمين في سقيفة بني ساعدة، حتى أدركهم الصديق أبو بكر وعمر وطلحة، فآل الأمر إلى أبي بكر رضي الله عنه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا تسمعون؟" تنبيه لهم ليعوا ما سيقوله، ثم أخبرهم أن الله لا يعاقب الإنسان على بكائه وحزنه على من مات له، لأن الحزن والبكاء خارجان عن إرادته، ولكن يحاسب ويعذب أو يرحم على ما يصدر من لسانه، فيعذبه إن ناح أو تسخط أو قال شرًّا، أو يثيبه على صبره واحتسابه إن استرجع وترحم وقال خيرًا.

(١) رواه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه"، فاختلفوا فيه، فقيل: إنه يعذب حقيقة على بكاء أهله عليه إن كان ذلك من سنته في حياته في النياحة على موته، أو أوصى بذلك عند موته، كما كان يفعل أهل الجاهلية، وهذا فقط إذا تضمن ما لا يجوز من نوح وجزع وصوت وسخط.

وقيل: المراد بالعذاب: الألم، بمعنى أن الميت يتألم لبكاء أهله عليه، ولا يقع عليه العذاب حقيقة، وقد أنكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقوع العذاب على الميت ببكاء أهله عليه، وتبعها طائفة من أهل العلم، مستأنسين بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، أو قوله: ﴿لَتَجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥]، بينما أقر جمهور العلماء وقوع العذاب على الميت بنياحة أهله إن كان هذا من سنته في حياته، أو أوصى به، فإنه يكون حينئذ من كسبه، والله أعلم.

وأما قول ابن عمر في آخر الحديث: كان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحثي بالتراب، فمعناه: أنه كان يفعل ذلك في وجوه من ينوحون على موتاهم، ويشيعونهم بالعويل والتسخط وشق الجيوب، وما شابه ذلك.

ويستفاد من الحديث: التحذير من النواح على الميت واللطم وشق الجيوب والتسخط، مع جواز البكاء بدمع العين، والندب إلى الترحم والاسترجاع عند وقوع مصيبة الموت، وفيه أيضاً: الندب إلى عيادة المريض، وإنكار المنكر بما هو متاح، كما كان يفعل عمر رضي الله عنه مع النائحات، والله الموفق.

الحديث العاشر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنْتِ قَرْيَةٌ كَذَا وَكَذَا، فَأَذْرَكَهُ الْمَوْتُ،

(١) رواه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ، فَغَفَرَ لَهُ»^(١).

هذا الحديث من أقوى وأجود أحاديث الترغيب، يحكي قصة رجل من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم أتمها مائة، حيث قتل الراهب الذي نفى أن يكون له توبة، بينما دله العالم على سبيل التوبة بالخروج من أرض السوء التي يعيش فيها، والالتحاق برفقة سالحة في بلد آخر بعيد، لكن الموت حضره أثناء سفره إلى ذلك البلد الآخر، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيهم يتناول روحه، فقيض الله لهم ملكاً يحسم الخلاف بينهم، بقياس المسافة إلى أي الأرضين أقرب، أرض السوء التي خرج منها، أم أرض الصلاح التي أقبل مرتحلاً إليها، فلما وجدوه أقرب إلى الأرض الطيبة تلقته ملائكة الرحمة، إيذاناً بقبول توبته وغفران ذنوبه العظيمة، وللحديث طرق كثيرة، وألفاظ متباينة.

والظاهر أن القصة وقت في بني إسرائيل بعد زمن سيدنا عيسى عليه السلام، لأن الحديث ذكر أنه أتى راهباً يستفتيه، والرهبانية ظهرت بعد المسيح عليه السلام: **رَوَّهَبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** {الحديد: ٢٧}.

وفي الحديث الكثير من الفوائد النافعة: منها: التأكيد على سعة رحمة الله جل وعلا، وقبوله التائبين مهما اقترفوا من كبائر الذنوب والآثام، وذلك إن تحققت التوبة بشروطها، وأهمها: أن يكون ذلك في حياة الإنسان قبل معاينة الموت، ومن ثم حث المذنبين على التوبة والسعي عليه راجين عفو الله ورحمته، دون يأس أو قنوط، فإن الله تعالى **{لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** {النساء: ٤٨}، وخاطب عباده المذنبين قائلاً: **يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** {الزمر: ٥٣}.

ومنها: فضل العالم على العابد، والتحذير من الفتوى بغير علم، فإن الراهب ضيق على

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

الرجل واسعاً، وسد باب التوبة في وجهه، وأفتى بغير علم، بينما أشار عليه العالم بما ينفعه، وفقاً لما أوتي من العلم.

ومنها: فضل الصحبة الصالحة، واستحباب مصاحبة الطائعين ومرافقتهم، ومجانبة العصاة والفساق وعدم مخالطتهم.

وفي الحديث أيضاً: أن ملك الموت يكون معه ملائكة آخرون موكلون بقبض روح الإنسان، وهؤلاء الملائكة تختلف صفتهم باختلاف حال الميت، فالمؤمنون الطائعون تتولى ملائكة الرحمة قبض أرواحهم، ورفعها إلى السماء، حيث تحفها بعنايتها، وتتلقاها بالبشرى، وتتادىها بأحب أسمائها، فترى من النعيم والسرور والحبور ما يسرها ويثبتها. وأما الكفار والفجار فتتولى ملائكة العذاب نزع أرواحهم، وتتلقاها بالشدّة والوعيد، وتعلق في وجهها أبواب السماء، فتلقى في الأرض لتتال من الويل والعذاب جزاء ما كسبت في الدنيا من ظلم وكفر وعدوان، نسأل الله العافية.

وقد أثبتت هذا نصوص القرآن الكريم، منها قول الله تعالى: **{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}** [النازعات: ١]، قال أهل التفسير: النازعات هم "الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلّت من نشاط"^(١)، أي: كما يحل البعير من عقاله، والله الموفق.

الحديث الحادي عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِذَا خَرَجْتَ رُوْحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا - قَالَ حَمَادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ - قَالَ: «يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوْحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتِ تَعْمُرِينَ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»، قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوْحُهُ - قَالَ حَمَادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ**

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٨ / ٣١٢).

رُوحٌ حَبِيْبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَقَالُ: انْطَفَأُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِبْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا^(١).

الروح من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، نعرف آثارها، ونجهل حقيقتها، لكن المعروف أنها هي نفس الإنسان المخلوقة التي بها يحيا، وقيل: هي "جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار، من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه، بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح"^(٢).

وحماد رواي الحديث هو أبو إسماعيل حماد بن زيد الجهضمي البصري الأزرق، من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، ثقة ثبت فقيه، من الأعلام، وقوله: "وذكر المسك"، يعني: سمع من شيخه أن ريحها يشبه رائحة المسك، وهو من أفضل أنواع الطيب، وأن أهل السماء يستقبلونها بالبشر والثناء عليها، وقوله: "إلى آخر الأجل" يعني: إلى المكان الذي أُعدَّ له إلى يوم القيامة، والمراد: أنها تبقى في نعيم إلى يوم الميعاد.

وأما الروح الخبيثة: فإنها تكون منتنة، وللتعبير عن ننتها رد النبي صلى الله عليها ربطة له - وهي ثوب رقيق كالشاش أو الملاعة ونحوهما - على أنفه تأففاً من ننتها، كأنه صلى الله عليه وسلم كوشف له من ننتها، أو فعل ذلك للإمعان في التعبير عن ننتها مقرباً الأمر إلى أذهان مستمعيه، وكذا فعل أبو هريرة رضي الله عنه مثله وهو يروي الحديث كما سمعه، وذكر أيضاً أن أهل السماء يستقبلونها باللعن، ويأمر الله بإيداعها في المكان الذي أُعد لها إلى يوم القيامة، عافانا الله وإياكم.

وفي الحديث بيان أن الروح بعد خروجها من جسد الإنسان بالموت تصعد إلى السماء،

(١) رواه مسلم (٢٨٧٢)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٣٣).

(٢) شرح الطحاوية - ط دار السلام: (١ / ٣٩٣).

وتودع في المكان المعد لها بحسب حال الإنسان من الإيمان والكفر، والطاعة والعصيان، وتظل فيه إلى يوم القيامة حيث ترد إلى الإنسان بالبعث، فينهض من قبره وينطلق إلى المحشر.

وفيه أيضًا: بيان ما يلقي المؤمن الطائع من الكرامة من الله تعالى عند موته، وحضور ملائكة الرحمة عنده عند احتضاره، مبشرة بهذه البشائر العظيمة، تشريفًا له وتكريمًا، وبيان ما يلقاه الكافر والفاجر من الذل والهوان عند خروج روحه، نسأل الله العاقبة.

الحديث الثاني عشر

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ»^(١).

صلاة الجنازة فرض كفاية على المسلمين، وهي تقوم بعمل الشفاعة من المصلين للميت، لأن الشفاعة دعاء، وهي صلاة لا ركوع فيها ولا سجود وإنما تنهض بالقراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والدعاء للميت خاصة، ثم لعموم المسلمين، وكلما زاد عدد المصلين ازداد الشفعاء، وفيهم الصالحون الذين لا يرد الله عز وجل شفاعتهم، وقد ورد في بعض الأخبار الصحيحة: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ»^(٢)، وفي بعض الأخبار المتكلم فيها: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أُوجِبَ»^(٣).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن اختلاف العدد لا يضر، لأن العدد الكثير يشمل القليل، وتحصل الشفاعة بأقل الأمرين: من ثلاثة صفوف أو أربعين رجلًا، وقيل: يحتمل أن يكون

(١) رواه مسلم (٩٤٨)، وأبو داود (٣١٧٠)، وأحمد (٢٥٠٩)، وابن حبان (٣٠٨٢).

(٢) رواه مسلم (٩٤٧)، والنسائي (١٩٩١)، وأحمد (١٣٨٠٤).

(٣) رواه أبو داود (٣١٦٦)، والترمذي (١٠٢٨)، وابن ماجه (١٤٩٠)، وأحمد (١٦٧٢٤).

النبي صلى الله عليه وسلم أُخْبِرَ بقبول شفاعته مائة، فأخبر به، ثم بقبول شفاعته أربعين، ثم بثلاثة صفوف، وإن قل عددهم، فأخبر به، وقيل: إن هذه الأحاديث خرجت أجوبة لسائلين سألوها عن ذلك، فأجاب كل واحد منهم عن سؤاله هذا^(١).

وقال بعض أهل العلم: حديث المائة غير مقيد، فإذا بلغ المصلون مائة شفّعهم الله فيه، أما حديث الأربعين فهو مقيد بأنهم لا يشركون بالله شيئاً، أي أنهم من أهل التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك، كأمثال الذين يعلقون التمام، أو يفعلون أي شيء يقدر في التوحيد الخالص، نسأل الله السلامة والعافية.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "شفّعهم الله فيه" أي: قبل دعاءهم له، لأنهم "يشفّعون إلى الله عز وجل لهذا الميت، فهم يسألون من الله له المغفرة والرحمة، والدعاء للميت في الجنائز من أوجب ما يكون في الصلاة، بل هو ركن من أركان الصلاة لا تصح صلاة الجنائز إلا به، إلا المسبوق"^(٢)، نسأل الله السداد.

قال أبو العلاء المباركفوري: "وفي هذه الأحاديث: استحباب تكثير جماعة الجنائز، ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز، وقد قيّد ذلك بأمرين: الأول: أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئاً"^(٣)، قلت: وفيها: حث المسلمين على الصلاة على الميت وتكثير المصلين، وفيها أيضاً: إثبات شفاعته المسلمين في الميت بصلاتهم عليه، وأنه ينتفع بهذه الشفاعة بفضل الله تعالى ورحمته.

الحديث الثالث عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ،

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: (٧ / ١٧).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: (٤ / ٥٣٧).

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: (٤ / ٩٨).

فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سَيِّئًا فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ عَنْ رِقَابِكُمْ» (٣).

الجنابة: يراد بها هنا: النعش الذي يحمل عليه الميت، والأمر بالإسراع معلل بتفصيل، فإن الميت إما أن يكون مؤمناً صالحاً، وإما أن يكون غير ذلك، فإن كان من أهل السعادة فإنما يسرعون به إلى النعيم، وإلى روضة من رياض الجنة، وإن كان من أهل الشقاوة - نسأل الله العافية - فإنما هو شر فوق أعناقهم، فليسارعوا إلى التخلص منه.

والإسراع بالجنابة يشمل: الإسراع في الغسل والتكفين والصلاة والحمل والدفن، ويكون الإسراع بحيث لا ينتهي إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة للميت، أو مشقة على حامل النعش أو المشيع، وربما يكون مقصود الحديث ألا يتباطأ بالميت عن الدفن، لأن التباطؤ ربما أدى إلى وقوع بعض المحظورات، والله تعالى أعلم.

وكذلك الأمر بالإسراع ينفي ما يعتقد بعض الناس: أن الميت هو الذي يتحكم بالنعش، ويوجهه إلى حيث شاء، سواء إلى القبر أم إلى غيره، إذ لو كان التحكم في النعش يرجع للميت لما توجه أهل الشقاوة - عافانا الله وإياكم - إلى قبورهم تحاشياً لما أعد لهم من العذاب، ولما كان للأمر بالإسراع لمن يحملون النعش معنى، ولكن هذا من الخرافات التي يعتقدونها بعض الناس، والله الموفق.

الحديث الرابع عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مَرُوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجِبَتْ» ثُمَّ مَرُوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجِبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجِبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» (٢).

مروا بجنابة أي: بميت يحمل إلى قبره ليدفن، وقوله: أثنوا عليها خيرًا، أي: امتدحوها

(١) رواه البخاري (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

بخير خصالها وأعمالها، ونقيضه: فأتتوا عليها شرًا: الثناء لا يكون إلا بالكلام الحسن، ولكنه استعمل هنا في الكلام السيئ بدم خصالها وأعمالها على سبيل المجاز، نحو قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١]، نسأل الله السلامة.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الموضوعين: "وجب"، وفي بعض طرق الحديث كررها مرارًا للتأكيد، المراد بالوجوب: الثبوت، أي: ثبوت وقوع الكلام المشار إليه كالشيء الواجب، والأصل أنه لا يجب على الله شيء، بل الثواب فضله، والعقاب عدله، لا يسأل عما يفعل سبحانه، وإنما أوجب سبحانه هذا على نفسه، كقوله جل شأنه: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧]، وقوله: {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: ١٢].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم المراد من قوله "وجب": أن ثناءهم في الموضوعين بمثابة الشهادة، فمن شهدوا له بالخير والصلاح والاستقامة وجبت له الجنة، ومن شهدوا له بالفسق وما شابه ذلك فقد وجبت له النار، فجعل صلى الله عليه وسلم شهادة أصحابه لأحد بالجنة أو النار دليلاً على وجوبها.

لكن الثناء المعبر ها هنا بالخير أو الشر إذا كان ثناؤهم مطابقاً لأفعال من أثنوا عليه، فإن لم يكن كذلك فليس هو مراداً بالحديث، وقد كان أصحابه رضوان الله عليهم أهل عدالة وصدق، فما كانوا ليشوا على أحد بما ليس فيه، على خلاف ما وقع بعدهم، إذ سرت بدعة في الجناز في هذه الأزمان المتأخرة أن يسأل المتولي الدفن من يقفون على القبر: ماذا تقولون في هذا الرجل؟ أو نحو هذا، فيرد القائمون بالثناء عليه ومنهم من لا يعتقد ذلك حقيقة، أو ينقم عليه، ومنهم من لا يعرفه أصلاً، والله المستعان، والحق أنها شهادة تجري عليها مطالب الشهادة المعروفة، وطلب هذه الشهادة نفسه من متولي الدفن ليس من السنة، وإنما "المعتبر في ذلك: شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة، لأن شهادة العدو لا تقبل"^(١).

(١) فتح الباري: (٣/ ٢٣٠، ٢٣١).

وأقل الشهادة في هذا الصدد أن تكون من اثنين عدلين، لقوله في حديث أبي الأسود الديلي عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ، شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ، قَالَ: «وَتِلْكَ» فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ^(١). قال ابن المنير: "إنما لم يسأل عمر عن الواحد استبعاداً منه أن يكتفى في مثل هذا المقام العظيم به"^(٢)، والله أعلم.

وفي الحديث: إثبات شهادة المسلمين العدول لموتاهم، وأنها موجبة لما يشهدون به، وفيه: الحث على لزوم التقوى وحسن الخلق والإصلاح بين الناس لنيل شفاعتهم وشهادتهم في الجنائز، والله الوفي.

الحديث الخامس عشر

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرِ وَصَاحِبِهِ يُدْفَنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا اللَّهَ لَهُ التَّنْبِيْتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(٣).

الاستغفار: هو طلب المغفرة ومحو السيئات وعدم المؤاخظة عليها، والتنبيت يختص بسؤال الملكين في القبر، أي الدعاء للميت بأن يثبتته الله عز وجل بالجواب الحق والقول الثابت عند سؤال الملكين منكر ونكير له في قبره، وسوف يأتي إن شاء الله الخبر عن ذلك قريباً.

واقصر الحديث على الدعاء للميت، وتفرع عنها مسألة عن حكم تلقين الميت أجوبة الأسئلة التي سوف يسأل عنها في قبره، بأن يقال بعد الفراغ من دفنه قل: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولي الذي بعث إليّ، ونحو ذلك.. فاختلف فيه

(١) رواه البخاري (١٣٦٨)، والنسائي (١٩٣٤)، والترمذي (١٠٥٩)، وأحمد (١٣٩).

(٢) فتح الباري: (٣/ ٢٣٠).

(٣) رواه أبو داود (٣٢٢١)، والبخاري (٤٤٥)، والحاكم (١٣٧٢) واللفظ له.

أهل العلم، وقد أخرج الطبراني فيه حديثاً عن سعيد بن عبد الله الأودي قال: شهدت أبا أمانة وهو في النزع، فقال: إذا أنا مت، فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إذا مات أحد من إخوانكم، فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان بن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون. فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنتك رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً...." إلى آخر الحديث^(١). وأورده السخاوي في المقاصد، وقال: "ضعفه ابن الصلاح، ثم النووي، وابن القيم، والعراقي، وشيخنا - يعني الحافظ - في تصانيفه، وآخرون، وقواه الضياء في أحكامه، ثم شيخنا مما له من الشواهد، وعزى الإمام أحمد العمل به لأهل الشام، وابن العربي لأهل المدينة وغيرهما، كقرطبة وغيرها"^(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "تلقيته بعد موته ليس واجباً بالإجماع، ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه، بل ذلك مأثور عن طائفة من الصحابة، كأبي أمانة، ووائلة بن الأسقع. فمن الأئمة من رخص فيه كالإمام أحمد، وقد استحبه طائفة من أصحابه، وأصحاب الشافعي، ومن العلماء من يكرهه لاعتقاده أنه بدعة، فالأقوال فيه ثلاثة: الاستحباب، والكرهية، والإباحة، وهذا أعدل الأقوال، فأما المستحب الذي أمر به وحض عليه النبي صلى الله عليه وسلم فهو الدعاء للميت"^(٣).

وفي الحديث: الندب إلى الدعاء للميت، فإنه يكون في أشد الحاجة إلى دعاء إخوانه الأحياء من المسلمين، وخاصة عند الصلاة عليه ودفنه، والدعاء يكون بالاستغفار وسؤال التثبيت، وفيه إثبات سؤال الملكين والامتحان في القبر، وحياة البرزخ، نسأل الله السداد.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٩٧٩)، وفي الدعاء له (١٢١٤).

(٢) المقاصد الحسنة: ص (٢٦٥). (٣) الفتاوى الكبرى: (٣ / ٢٥).

الحديث السادس عشر

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**» {إبراهيم: ٢٧}، قَالَ: «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**» {إبراهيم: ٢٧}»^(١).

قوله تعالى: {يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} {إبراهيم: ٢٧}، القول الثابت: هو كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، وتامها أن محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، وقوله جل وعلا: {**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**} {إبراهيم: ٢٧}، الراجح من كلام أهل العلم: تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم^(٢). فالآية أصل في إثبات فتنة القبر، نسأل الله السداد.

والسؤال يتم عبر الملكين منكر ونكير، وقد ورد اسمهما في بعض الأخبار الصحيحة، وسيأتي منها إن شاء الله تعالى، والأسئلة التي يسألونها للميت ثلاثة، اختصرها لفظ هذا الحديث، وسيأتي مزيد بسط لها.

لكن يترتب على هذا الأمر مسألة: هل سؤال القبر وفتنته خاص بهذه الأمة، أم هو عام على جميع الأمم؟

ذهب الحكيم الترمذي إلى أن سؤال القبر خاص بهذه الأمة، مستأنساً بحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُنَبَّلَى فِي قُبُورِهَا**»^(٣)، فظاهره خاص بأمتنا، قال: «أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأمة خصوصاً، وإنما ابتلوا ليميز الله

(١) رواه البخاري (١٣٦٩) وموضع، ومسلم (٢٨٧١)، واللفظ له.

(٢) تفسير الطبري "جامع البيان": (٦٠٢ / ١٦).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧)، وابن أبي شيبة (١٢٠٢٨)، وابن أبي عاصم (٨٦٨).

الخبيث من الطيب"^(١)، أما الأمم السابقة فإن الله تعالى كان يبعث إليهم الرسول بعد الرسول، فمن كذب بالرسول وأصر على الكفر كان يمهلهم حتى يريهم الآيات، ثم يدمرهم ويهلكهم.

بينما ذهب جمهور أهل العلم إلى أن سؤال القبر عام على جميع الأمم، وأن المقصود بهذه الأمة في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أمة الناس جميعًا، قال ابن القيم رحمه الله: "والظاهر والله أعلم: أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة، والله سبحانه وتعالى أعلم"^(٢)، وقد صح في بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع يهودًا يعذبون في قبورهم، فإن كان عذاب القبر عامًا فسؤال القبر وفتنته كذلك، وإلى هذا ذهب ابن عطية وأبو عبد الله القرطبي أيضًا^(٣)، بينما اختار ابن عبد البر التوقف في المسألة، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث: إثبات سؤال القبر وفتنته، واختلاف أحوال الناس في الإجابة عليه بحسب إيمانهم وطاعتهم في الدنيا، والله الموفق.

الحديث السابع عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ زِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي

(١) نوادير الأصول في أحاديث الرسول: (٤ / ١٦١).

(٢) الروح: ص (٨٧).

(٣) تفسير ابن عطية "المحرر الوجيز": (٣ / ٣٣٧)، والتذكرة بأحوال الموتى للقرطبي: ص (٤١٤)،

والتمهيد لابن عبد البر: (٢٢ / ٢٥٣).

فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعَهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَدَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(١).

وفي لفظ آخر له: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ، غَيْرَ فَرَحٍ، وَلَا مَشْغُوفٍ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَقْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا، فَيَقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَتِيمِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مَتٌّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السَّوِّءُ فِي قَبْرِهِ، فَرِعًا مَشْغُوفًا، فَيَقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيَقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشُّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مَتٌّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قبر الميت" بصيغة المبني لما لم يسم فاعله يعني: إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، أَوْ إِذَا دُفِنَ، وَقَوْلُهُ: "أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ" أَي: لِهَمَا هَيْئَةٌ مَخِيفَةٌ: سُودُ الْوُجُوهِ، زَرَقُ الْعَيُونِ، وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمَا اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لِمَا فِي السَّوَادِ وَزَرَقَةِ الْعَيْنِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْوَحْشَةِ، وَيَكُونُ خَوْفُهُمَا عَلَى الْكُفَّارِ أَشَدَّ، لِتَحْيِرِهِمَا فِي الْجَوَابِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ ابْتِلَاءٌ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ، فَيُثَبِّتُهُمُ اللَّهُ جَزَاءً لَخَوْفِهِمْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا.

وقوله: "ثم كنومة العروس" أي: نم نومة هنيئة كما ينام العروس - وهذا يطلق على المذكر والمؤنث - في الدنيا في ترف ودعة وتنعيم، حتى يأتيه غداة ليلة زفافه من هو أحب

(١) رواه الترمذي (١٠٧١)، وابن ماجه (٤٢٦٨)، وابن أبي عاصم (٨٦٤)، وابن حبان (٣١١٧).

وأعطف إليه فيوقظه على الرفق واللفظ، وهذا حال المؤمن في قبره.

وقوله: "التنمي" أي: انضمي واجتمعي، يقال هذا للأضلاع، "فتختلف أضلاعه" أي: تشتبك معًا من شدة التئامها عليه وشدة الضغطة، وتجاوز جنبه من كل جنب إلى جنب آخر، نسأل الله العافية.

فالحديث يثبت أن الميت يسأل في قبره، وأن من يقوم بالامتحان ملكان اسمهما: منكر ونكير، وهما ملكان لها هيئة مفزعة، لكن الفزع يقع على المسيء في الدنيا كالكافر والمنافق ونحوهما، أما أهل الإيمان فمنهم من يفزع منهما بعض الفزع، وقد يأمن البعض الآخر ممن كان يخاف ربه في الدنيا ويتقيه حق ثقاته، والله المستعان، والسؤال يكون عن التصديق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن كان مصدقًا به وبما جاء به في الدنيا يثبته الله تعالى بالقول الثابت في قبره، ومن كان غير ذلك تردد وتلعثم وتوقف في الجواب، نسأل الله الثبات والسداد.

وفيه أن المؤمن يعرض له مقعدًا إلى النار أولًا، قبل أن يرى مقعده إلى الجنة، ليعرف نعمة الله عليه، والفاجر نقيض ذلك على سبيل الإمعان في التكيل به، ويقرر الحديث أيضًا: أن المؤمن يفسح له في قبره، وينام هانئًا حتى تقوم الساعة، بينما الكافر أو الفاجر يضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويظلم عليه في قبره، ويرى مقعده من النار، نسأل الله السلامة والعافية. وفي الحديث: إثبات سؤال القبر وفتنته، وصفة الملكين واسميتهما، واختلاف حال المؤمن والفاجر في البرزخ، والله المستعان.

الحديث الثامن عشر

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(١) رواه البخاري (١٣٧٩) وموضع، ومسلم (٢٨٦٦).

المراد بالغداة والعشي: وقتها في الدنيا، فإن البرزخ ليس فيه صباح ولا مساء، والمقصود أن الميت إن كان من أهل الجنة عُرضَ عليه مقعده إلى الجنة، فتكون بشارة له متواصلة له حتى يبعث، وإن كان من أهل النار عرض عليه مقعده إلى النار، من باب التكيل به حتى يبعث، وهذا كقوله جل وعلا: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦].

واختلفوا هل هذا العرض على الأجساد أم الأرواح، والظاهر أن العرض يكون على كليهما معاً، وليس هذا بممتع على الله عز وجل، حتى لو أكلته السباع والحيتان، أو أحرق وصار رماداً، وقد يستثنى من ذلك الأنبياء وبعض أصناف المؤمنين كالشهداء ونحوهم، فإن الله جعل أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة كيفما تشاء.

واختلفوا كذلك في حق المسلم الذي أسرف على نفسه في الذنوب والمعاصي، فذهب بعض أهل العلم إلى أن المسلم العاصي يرى مقعده من الجنة أيضاً، لأن مصيره إليها وإن عُدب قبل ذلك على ذنوبه، إلا إن كانت ذنوبه تصل إلى حد الكفر أو الشرك بالله عز وجل، وذلك لأن سؤال القبر وفتنته متعلق بالإيمان والكفر لا بالحسنات والسيئات، كما أن حسنات المسلم وسيئاته التي دفنت معه وقت السؤال لن تقف عند حدّها ذاك، فالحسنات قد تزيد بما خلفه وراه من صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له، والسيئات قد تزداد بما تركه وراه من سيئة وسيئات جارية، فلا مجال لأن يحاسب على حسناته وسيئاته في البرزخ وكلاهما قابل للزيادة حتى قيام الساعة، وإلى هذا ذهب العراقي في طرح التثريب، قال: "الذي يظهر أن المعروض عليه مقعده من الجنة، وأما النار فليس له بها مقعد مستقر، وإنما يدخلها لعارض لينقى ويطهر ويمحص، ثم يدخل مقعده من الجنة نقياً مخلصاً"^(١).

وقال بعضهم: إن كانت ذنوبه كثيرة وكبيرة يعذب في قبره بها، كما ثبت في حديث القبرين اللذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، فكان

(١) طرح التثريب في شرح التقريب: (٣/ ٣٠٥).

أحدهما لا يستتزه من البول، والآخر يمشي بالنميمة، كما سيأتي، حتى إذا استوفى جزاءه عرض له مقعده من الجنة.

وقال آخرون: المسلم العاصي يعرض عليه المقعدان معاً، أحدهما في الجنة باعتبار المال، والثاني في النار باعتبار الحال، وإليه جنح أبو عبد الله القرطبي في التذكرة، وأبو العباس القرطبي في المفهم، والحافظ في الفتح، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث: إثبات سؤال القبر وفتنته، وكذا إثبات عذابه ونعيمه، واختلاف حال المؤمن والكافر في البرزخ، نسأل الله السداد.

الحديث التاسع عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرْنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ النَّفْلَيْنِ»^(١).

قوله: "لا دريت ولا تليت" يعني: لا علمت ما هو الحق والصواب بالتحقيق والتسديد، ولا تبعت الحق بالمتابعة والتقليد، وقيل: تليت أصلها تلوت وانقلبت الواو إلى ياء، بمعنى: لا قرأت، أي: ما علمت بالنظر والاستدلال العقلي أنه رسول، وما قرأت كتاب الله لتعلمه منه بالدليل النقلي^(٢)، وقيل: هو دعاء عليه وتوبيخ له، والله أعلم.

(١) رواه البخاري (١٣٧٤) وموضع، ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٢٠٥ / ١).

وهذا الخبر كحديث ابن عمر رضي الله عنهما السالف ذكره، وفيه زيادات حسنة، منها: أن سؤال القبر يبدأ بمجرد الفراغ من الدفن وانصراف المشيعين عنه، وأن الميت ترد إليه روحه في تلك الساعة فيسمع قرع نعال المشيعين لدى انصرافهم عن قبره، وهذا كما صح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال في وصيته: "قَادِمًا دَفَنُومُنِي فَسُئِلُوا عَلَيَّ التَّرَابَ شَتًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جُرُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظَرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي"^(١)، واختلفوا في مسألة سماع الأموات فيما بعد ذلك، فمن العلماء من نفى السمع عنهم مطلقًا إلا في مثل هذا الموطن، وهو ما ذهب إليه أم المؤمنين عائشة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم، وهو قول ابن عابدين، وابن الهمام، وابن نُجَيْم وغيرهم من أئمة الأحناف، والمازري والبايجي والقاضي عياض من المالكية، والقاضي أبي يعلى من الحنابلة.

ومن أهل العلم من مال إلى تأييد القول بسماع الموتى، كالطبري وابن قتيبة وابن تيمية وابن القيم وابن كثير، حيث انتصر لسماع الموتى في تفسير سورة الروم، والحافظ ابن رجب في كتابه: أهوال القبور، وغيرهم، ولهم في ذلك بعض الاستدلالات المعتمدة. والقول الوسط في ذلك ما قاله ابن تيمية رحمه الله بعد أن سابق بعض الأدلة في المسألة: "فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له، وهذا السمع سمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: {إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى} [النمل: ٨٠]، فإن المراد بذلك سمع القبول والامتثال"^(٢)، والله تعالى أعلم.

وقتادة بن دعامة السدوسي البصري راوي الحديث، من الطبقة التي تلي الوسطى من التابعين، روى له الجماعة، وهو ثقة ثبت حافظ، رحمه الله تعالى.

(١) رواه مسلم (١٢١)، وأحمد (١٧٧٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣٦٤ / ٢٤).

وفي الحديث: إثبات سؤال القبر وفتنته، واختلاف حال كل إنسان في البرزخ بحسب إيمانه، وإثبات عذاب القبر لمستحقه، أسأل الله العفو والعافية لي ولكم.

الحديث العشرون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَعَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يَخْفَفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْيَسَا»^(١)، وفي بعض طرقه: «لَا يَسْتَنْزِرُهُ مِنْ بَوْلِهِ».

قوله صلى الله عليه وسلم: "وما يعذبان في كبير" يعني: أنهما يعذبان بأسباب قد لا ترونها كبيرة في اعتقادكم واعتقاد من تعاطاها، وتستهيئون بها، لكنها كبيرة في حقيقتها وإن كنتم لا تتركون ذلك، وذلك كقول الله تعالى: {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور: ١٥]، قال الحافظ: "وقيل: ليس بكبير بمجرد، وإنما صار كبيرًا بالمواظبة عليه، ويرشد إلى ذلك السياق، فإنه وصف كلاً منهما بما يدل على تجدد ذلك منه واستمراره عليه، للإتيان بصيغة المضارعة بعد حرف كان، والله أعلم"^(٢).

وقوله: "لا يستتر"، أو "لا يستبرئ"، أو "لا يستنزه من بوله"، يعني: أنه كان في حياته لا يستتر جسده ولا ثيابه من مماسة البول، أي: يكشف عورته أثناء قضاء حاجته، ولا يبالي بالبول إذا أصاب جسده وثيابه، والبول نجس باتفاق، والآخر كان يمشي بالنميمة بين الناس، فينقل كلام هذا إلى ذاك، والعكس، بقصد الإضرار وإيقاع الخلاف والوقيعَة بين الناس.

والجريد: هو فروع النخل الذي يبرز منه الخوص، ويقال لها أيضًا السعف والعسيب،

(١) رواه البخاري (٢١٨) وموضع، ومسلم (٢٩٢).

(٢) فتح الباري: (١/٣١٨).

وقيل: العسيب الذي لم ينبت فيه الخوص، والسعف إذا نبت فيه، ويقال لكليهما: جريد، والله أعلم، وقوله: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"، اختلف في المقصود به، فقيل: إنه خص الجريد بذلك لأنه بطيء الجفاف، فهو لا يزال يسبّح حتى يجف، والمقبوران سينتفعان ببركة تسبيحه في تخفيف عذابهما، وقيل: هو محمول على أنه دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء الندوة، لا أن في الجريد معنى يخصه، والله أعلم.

واختلفوا كذلك في حال هذين المقبورين: هل كانا كافرين أم مسلمين؟ والظاهر أنهما كانا مسلمين، لأنه جاء في بعض طرق الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم مرّ بقبْرين جديدين، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم نُهي عن الاستغفار للمشركين: **لَمَّا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** [التوبة: ١١٣]، فالمنع من التشفع لهم أولى، والله أعلم.

واختلفوا كذلك في حكم وضع الجريد وغيره من النباتات على القبور، فأجازته الجمهور استناداً لهذا الحديث، بينما قال بعضهم بالمنع بحجة أن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ببركة يده الشريفة، ولا يتأتى هذا لغيره، وقد ورد عن بعض السلف أنهم كانوا يفعلون ذلك، كأبي هريرة رضي الله عنه، وبريدة، وأبي العالية، وغيرهم، فالله تعالى أعلم.

ويستفاد من الحديث: إثبات عذاب القبر، وأنه حق يجب الإيمان والتسليم به، والتحذير من بعض الأعمال التي قد توجب العذاب في القبر، مثل النميّة، ويلحق بها كل ما يفضي إلى التنازع والفساد بين الناس، وعدم الاحتراز من البول، ويلتحق به غيره من النجاسات في البدن والثوب، نسأل الله السداد.

الحديث الحادي والعشرون

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حِنَاةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا

كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِبِضِّ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَعْرِفَةِ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانِ».

قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مَسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَائِكَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيَسْتَدِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِّيَيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَفْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجَلِّسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَاْمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْأَيْسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ».

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَيِّبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ اللَّهِ

وَعَضَبٍ». قَالَ: «فَنَفَّرُكَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْزِعُهَا كَمَا يُنَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُونَ بِهَا عَلَى مَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانِ بُنُ فُلَانٍ بِأَفْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يَسْمَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ».

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} {الأعراف: ٤٠} فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اُكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ نَهَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} {الحج: ٣١}. «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ النَّيَابِ، مُنْتَنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيبُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تَقَمِ السَّاعَةَ»^(١).

وهذا حديث جامع، ينظم أحوال خروج الروح، مع سؤال القبر وفتنته، وحال المقبور بعد السؤال، كل ذلك في سياق واحد، نسأل الله التوفيق والساداد.

في البدء يبيِّن الحديث حال المؤمن عند خروج روحه، حيث تنتزل عليه ملائكة الرحمة، بيض الوجوه، كناية عن الحسن والبشر، ويكون معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، والحنوط ما يطيب به الميت، فتبشر الميت برضوان الله تعالى ورجنته، وهذا

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤) واللفظ له، وابن أبي شيبة (١٢٠٥٩)، والحاكم (١٠٧)، واللاكثاني (٢١٤٠)، وغيرهم.

كقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** { [فصلت: ٣٠]، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام عند رأسه، فينادي الروح فتخرج "تسيل كما تسيل القطرة من في السماء" أي: تخرج بسهولة ويسر، من غير مشقة ولا عذاب، كما تسيل قطرة الماء من مخرج القربة التي يُشرب منها، فتأخذها ملائكة الرحمة فيجعلونها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، ويصعدون بها إلى السماء، فيستقبلها أهل السموات بالبشر والترحاب، وينادونها بأحسن أسمائها في الدنيا إمعاناً في البشر والترحاب، حتى يبلغوا بها السماء السابعة، فيأمر بها الله تعالى أن تكتب في عليين، وهو سجل الأبرار الذي تدون فيه أسماؤهم وأعمالهم، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ثم تعاد الروح مرة أخرى إلى الميت حين يدفن، ليبدأ امتحان القبر المكوّن من ثلاثة أسئلة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيجيب المؤمن عن كل هذا بالجواب الحق، الذي علمه من الوحي المنزل فأمن به وصدقه، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من نسيمها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويتجسد له عمله الصالح في صورة رجل حسن الهيئة، جميل الطلعة، فيبشره بالنعيم الذي ينتظره في الآخرة، فيتمنى أن تقوم الساعة الآن حتى يدخلها وينال من نعيمها وثمرها وشرابها وظلها.

أما الكافر أو الفاجر الذي بلغ بفجوره مبلغ الكفار، فإنه تأتيه ملائكة العذاب، سود الوجوه بهيئة مرعبة، ومعهم أكفان من نار، فيبشرونه بسخط الله وعذابه، ويأتي ملك الموت ليبشره كذلك، وينزع روحه انتزاعاً كما ينتزع السفود، وهو حديدة لها كلابيب، من الصوف المبلول، أي ينتزعها بشدة ومشقة يتألم منها، فتخرج الروح ولها رائحة ننته كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فتأخذها الملائكة في المسوح التي معهم، وتصعد بها إلى السموات، فيستقبلها أهل السماء بالنفور والتأفف، وينادونها بأشنع أسمائها التي كان ينادى بها في الدنيا، ولا تفتّح لها أبواب السماء، وتطرح إلى الأرض طرحاً، ومصدق ذلك قوله

تعالى: **لَوْ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ**

وتعاد روحه إلى جسده حين يقبر، ليبدأ امتحان القبر، وتوجه له الأسئلة نفسها، غير أنه لا يعرف بم يجب عنها، فينادي مناد من السماء أن كذب، ويُفَرَس له من النار، ويُفَتَح له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ثم يتجسد له عمله الطالح في صورة رجل قبيح الوجه والهيئة، منتن الريح، فيبشره بما أعد له من العذاب في الآخرة، فيتمنى لو أن الساعة لم تقم، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي الحديث: بيان حال المؤمن والكافر عند خروج الروح، وإثبات سؤال القبر ونعيمه وعذابه، وأن كل إنسان سيُجَزَى في البرزخ بحسب إيمانه وعمله، نسأل الله السداد.

الحديث الثاني والعشرون

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حديدٍ ... إِنَّهُ يُدْجَلُ ذَلِكَ الْكَلُوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَاهَدَهُ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ النَّثُورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ
رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ
فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ،
فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ
وَصَبِيَّانُ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعَدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ،
وَأَدَخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شَبُوحٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصَبِيَّانُ، ثُمَّ
أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعَدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدَخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شَبُوحٌ، وَشَبَابٌ.

قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ،
فَكَذَابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي
رَأَيْتَهُ يُشَدُّ رَأْسَهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّقَبِ فَهُمُ الرُّنَاءُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ
فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّبِيَّانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ
حَازِنُ النَّارِ، وَالِدَارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ،
وَأَنَا جِبْرِيْلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَارْفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَ: ذَاكَ
مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ
مَنْزِلَكَ»^(١).

هذا الحديث يسمى حديث المنام، والبعض يخلط بينه وبين أحاديث الإسراء، وإنما هو
رؤيا منامية رآها النبي صلى الله عليه وسلم تكشف عن أحوال بعض الأرواح في البرزخ،
ورؤيا الأنبياء وحي من الله عز وجل، ألا ترى أن إبراهيم الخليل همّ بذبح ابنه بناء على
رؤيا؟ وكذلك توجه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للاعتماد بمكة عام الحديبية بناء على

(١) رواه البخاري (١٣٨٦)، ومسلم (٢٢٧٥) مختصرًا، ورواه مطولًا أيضًا أحمد (٢٠٠٩٤)، وابن خزيمة
(٩٤٢)، وابن حبان (٩٥٥)، والطبراني (٦٩٨٤)، وغيرهم.

رؤيا؟ فرؤى الأنبياء حق لأنها وحى من الله جل وعلا.

وقد بدأ الحديث بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم الليلة رؤيا؟"، وذلك على سبيل التلطف والتندر مع أصحابه، فلما لم يبتدر أحد منهم لقص رؤيا رآها، شرع صلى الله عليه وسلم يقص عليهم رؤياه التي رآها هو، وقوله: "إلى الأرض المقدسة" كذا بالتعريف، وفي رواية أخرى: "إلى أرض مقدسة" بالتكثير، وفي مسند أحمد: "فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ فَضَاءٍ، أَوْ أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ"، دل هذا كله على أنها ليست بأرض معروفة بعالمنا.

وقوله: "كلوب من حديد" يعني: حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم، كما نرى في زماننا هذا، والشدق: جانب الفم، والمقصود: أنه رأى رجلاً يشق جانب فمه بكلوب الحديد، ثم يفعل بشدقه الآخر الشيء ذاته، فيعود ليجد أن شدقه قد التأم، فيعاود شقه بكلوب، وهكذا على الدوام، وفي بعض طرق الحديث: "يَأْتِي أَحَدَ شِقِّي وَجْهِي فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ"، ويأتي تفسير هذا في آخر الحديث: بأنه الرجل الكذاب، الذي ينشر الأكاذيب بين الناس ليفسد عليهم دينهم أو دنياهم، فتحمل تلك الأكاذيب عنه في الآفاق، فهو يصنع به هذا إلى يوم القيامة، وقوله: "إلى يوم القيامة" يدل على أن هذا يقع له في البرزخ، وفي بعض طرق الحديث: "قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَذَّابٌ يُعَدَّبُ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

ثم رأى رجلاً مستلقياً على قفاه، ورجل قائم بيده حجر كبير أو ملء الكف، فيشدخ به رأسه، أي: يشقها بالحجر، ثم يتدهده - أي: يتدحرج الحجر بعيداً - فإذا ذهب الرجل الآخر لجلبه عاد رأس الأول كما كان، فيصنع به مثل ذلك، ويأتي تفسير ذلك في آخر الحديث: أنه الرجل الذي آتاه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل بما فيه بالنهار، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة، وفي بعض طرق الحديث: "يَأْخُذُ الْقُرْآنَ، فَيَرِفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ".

ثم رأى بعد ذلك ثقباً مثل التتور، أي: الفرن، وكان أعلاه ضيقاً، وأسفله واسعاً، يتوقد تحته نازلاً، وكان فيه أناس عراة، فإذا اقترب منهم لهب النار ارتفعوا إلى أعلى التتور حتى كاد أن يخرجوا، فإذا سكن لهيبها ولم يطفأ حرها رجعوا فيها، وجاء تفسير ذلك في آخر

الحديث: أنهم الزناة، وهذا عقابهم حتى تقوم الساعة.

ثم رأى بعد ذلك نهرًا من الدم، وفيه رجل يسبح، وكلما حاول الخروج من النهر ابتدره رجل آخر يقف على حافة النهر وبين يديه حجارة، فيقذفه بها في فمه ليمنعه من الخروج، فيعود الرجل إلى النهر، ثم يحاول مجددًا الخروج، وكل مرة يقذفه الرجل الذي على الحافة بحجر في فمه حتى يعيده إلى النهر، وجاء تفسير ذلك في آخر الحديث: أنه أكل الربا، يفعل فيه ذلك حتى تقوم الساعة.

ثم رأى بعد ذلك روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها وعند جذرها يجلس شيخ وحوله صبيان، وفي بعض طرق الحديث: «فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا»، وإذا رجل قريب من الشجرة أمامه وبين يديه نار يوقدها، فصعد الملكان بالنبي صلى الله عليه وسلم في الشجرة التي هي في الروضة الخضراء، وأدخلاه دارًا جميلة لم ير قط أحسن منها، وكان فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجه الملكان من الدار، فصعدا به الشجرة فأدخلاه دارًا هي أحسن وأفضل من الأولى، فيها أيضا شيوخ وشباب، وجاء تفسير ذلك في آخر الحديث: أن الشيخ الجالس هو إبراهيم عليه السلام، والصبيان الذين من حوله هم أولاد المسلمين الذين ماتوا صغارًا، قبل سن البلوغ والتكليف، وجاء في بعض طرق الحديث: «فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»، والمراد: أولاد المشركين الذين يمتحنون يوم القيامة فيفلحون على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، والذي يوقد النار: هو مالك خازن النار، وفي بعض طرق الحديث: «فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةِ، كَأَكْرَهَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَاةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا»، أعادنا الله وإياكم.

والدار الأولى التي دخلها هي دار عامة المؤمنين، وأما الدار الأخرى التي هي أعلى وأجمل من الأولى فدار الشهداء، وفي بعض طرق الحديث: «فَبَيْنَمَا بَصْرِي صُغْدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ»، قَالَ لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا دَرَانِي فَلَاذْخُلُهُ»، قَالَ: قَالَ لِي: أَمَا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ. والربابة البيضاء: هي السحابة

البيضاء الصافية المنفردة المرتفعة في السماء. وتبين بعد ذلك أن اللذين طافا بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة المنامية هما: جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وقد جاء في بعض طرق الحديث زيادات أخرى، منها: "فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَيْلٍ ذَهَبٍ، وَلَيْلٍ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرُ مِنْ خَلْفِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ، وَشَطْرُ كَأَفْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ، قَالَا لَهُمْ: أَذْهَبُوا فَفَعَلُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَا: أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرُ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرُ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ"^(١).

وفي الحديث كثير من الفوائد: منها، التحذير من الكذب وهجر القرآن الكريم والصلوات المكتوبة، والزنا وأكل الربا، ومنها: أن أولاد المسلمين الذي يموتون قبل البلوغ في الجنة، في كفالة سيدنا إبراهيم الخليل، وقد جاء في حديث آخر أن «أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وفي حديث آخر: أنهم "يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ"^(٣).

وفي الحديث: بيان أحوال بعض أصناف الناس في حياة البرزخ، بحسب أعمالهم وما أسلفوا في دنياهم، قال ابن أبي العز الحنفي: "الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه..."، وقال: "ومن الأرواح من يكون محبوسًا على باب الجنة، كما

(١) رواه البخاري (٤٦٧٤).

(٢) رواه أحمد (٨٣٢٤)، وابن أبي شيبة (١٢٠٥٢)، والحاكم (١٤١٨) واللفظ له، والبيهقي في البعث والنشور (٢١٠).

(٣) رواه ابن خزيمة (١٩٨٦)، وابن حبان (٧٤٩١)، والطبراني (٧٦٦٦)، والحاكم (٢٨٣٧).

في الحديث الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُمْ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوسًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ»^(١)، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم^(٢).

أسأل الله العلي العظيم، الرحمن الرحيم، أن يحسن عاقبتنا، وأن يؤمّنّا ما نخاف يوم نلقاه، ويوم نعرض عليه، ويصرف عنا الحزن والخزي، وأن يدخلنا في ظل رحمته، ويحشرنا في زمرة أوليائه وأصفيائه، وهو العفو الغفور، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) رواه النسائي (٩٣٢)، وأبو داود (٣٣٤١)، وأحمد (٢٠١٢٤).

(٢) شرح الطحاوية "ظ. دار السلام": ص (٤٠٢، ٤٠٣).